ثلاث تراجم نفيسة

للأئمة الأعلام

- شيخ الإسلام ابن تيمية
- الحافظ علم الدين البرزالي
- الحافظ جمال الدين المزي

من كتاب

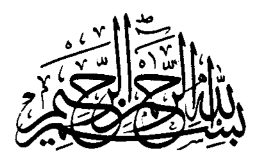
ذيل تاريخ الإسلام

للحافظ شمس الدين الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨ هـ

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر العجمي

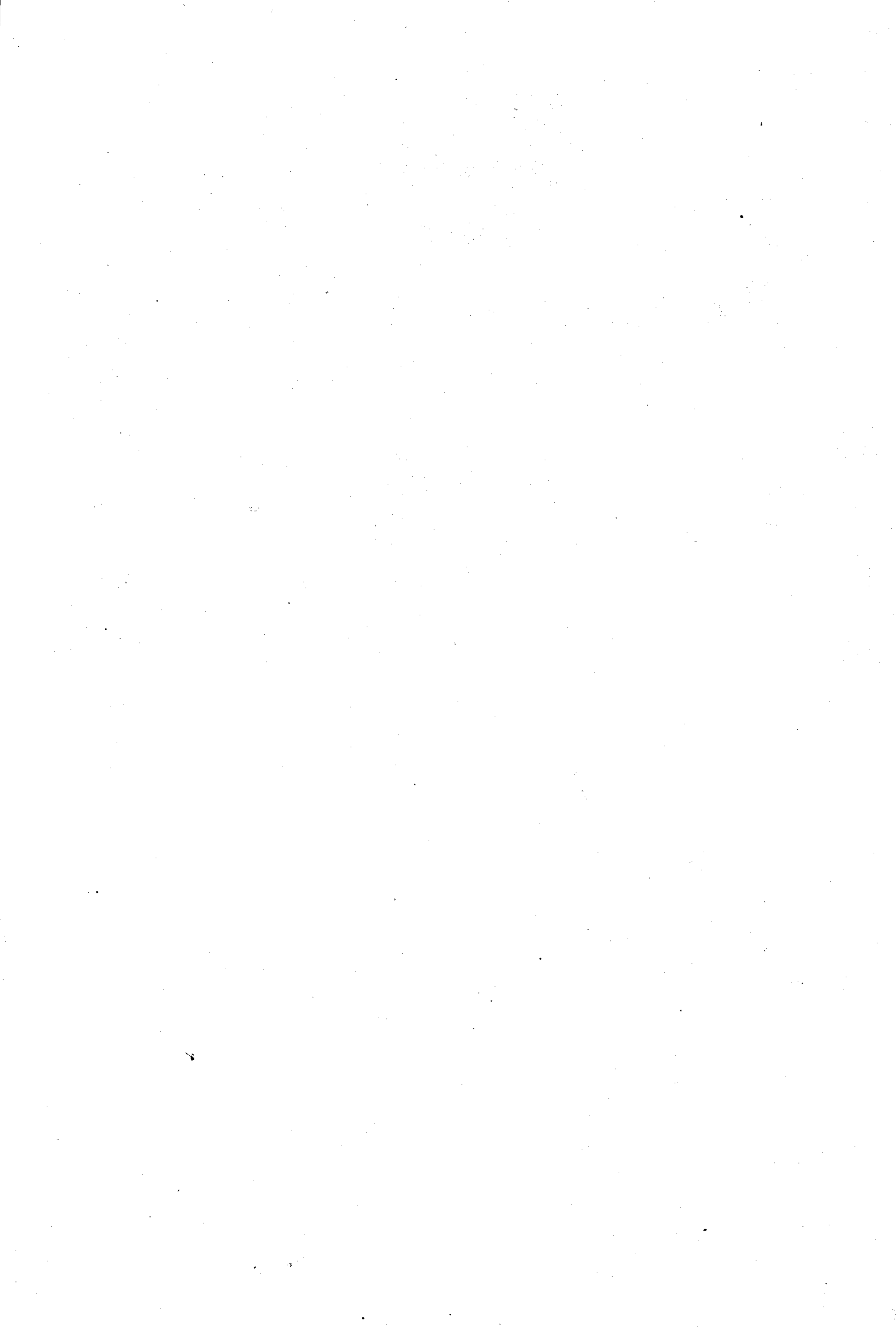


الطّبعَة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

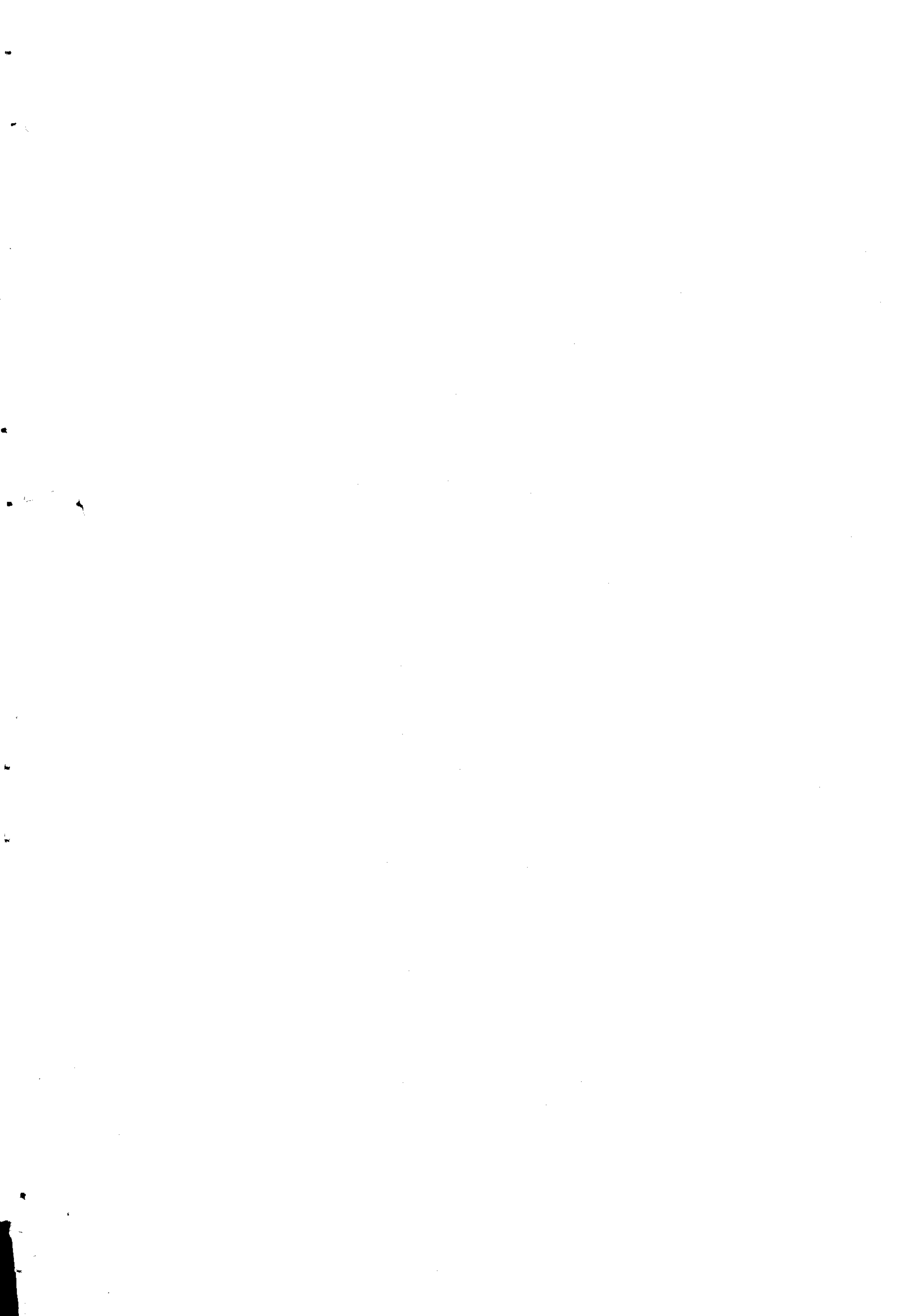
دار ابن الأثير الكويت - الجهراء - ص.ب: ٩٠٧





قَال الحَافِظ الذَّهبـي حينما وصل إِلى ترجمة نفسِهِ في المعجمِ المختص له:

«. . . وجَمَعَ تَوالِيف ـ يُقالُ مُفِيدةٌ ـ والجَمَاعةَ يَتفضَّلون ويُثْنُونَ عليه، وهو أَخْبَرُ بنفسِهِ وبنقْصِهِ في العِلم والعَمل، واللَّهُ المُستعان ولا قُوة إِلاَّ به، وإِذا سَلِمَ لي إِيماني فيا فوزي».



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين.

أمـا بعـد:

فهذه تراجم نفيسة لثلاثة من كبار أئمة الإسلام في القرن الثامن الهجري وهم:

* شيخ الإسلام، وعلم الأعلام أبو العباس ابن تيميَّة.
* الحَافِظ الرحلة علم الدِّين البِرْزَالي.
* الحَافِظ الكبير جمال الدِّين المِزّي.

وقد استللتها من كتاب «ذيل تاريخ الإسلام» للحافظ النَّاقِد شمس الدِّين الذَّهَبي[1]، وهي تراجم لأول مرة تخرج، ولا يخفىٰ على

(١) وهذا الكتاب أقوم بتحقيقه على نسختين وقد أنهيت ثلثه الأول وسأذكر في مقدمته إن شاء الله التفصيل حول عنوانه، فقد كُتِبَ على طرته أنه ذيل تاريخ الإسلام، والذي يترجح لي بعدة أدلة أنه ذيل سير أعلام النبلاء.

أهل العلم أنها مِن خبير بأحوال هؤلاء الأئمة الثلاثة فهو تلميذهم ومعاصرهم، وقد ذكر فيها ما لم يرد في كتب التراجم، وذكر فيها رأيه الصريح عن هؤلاء الصحبة الميمونة وما كانوا عليه من فضل وعلم وتقى وصلاح، كل هذا بعبارات جزلة وكلمات عذبة، مع ذكر ما لهم من مكانة في صدره، وما يحمله لهم من محبة صادقة.

وقد رأيت أن من المناسب نشر هذه التراجم على حِدة فإن فيها فوائد جمَّة، ولطائِفَ مهمة يفرح بها أهل العلم والفضل.

* * *

وصف النسخ المعتمدة في إخراج هذه التراجم:

وقفت على نسختين لهذا الكتاب «ذيل تاريخ الإسلام» أو «ذيل سير أعلام النبلاء».

النسخـة الأولـىٰ:

نسخة شستربتي برقم (٤١٠٠) وتقع في ١٤٣ ورقة إلَّا أنها ناقصة من أولها بمقدار عشر ورقات، وتبدأ في أثناء ترجمة ضياء الدِّين البعلي أي أن الساقط منها نحو أربع وثلاثين ترجمة، وقد نسخت سنة ٧٤٣هـ، وناسخها هو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن مروان الفارِقي، وقد ذكره الإمام الذَّهبـي في المعجم المختص ص ١٨٢ فقال: «سَمِع بدمشق في صغره ثُمَّ طَلب قليلاً وكتب ورافق في السفر إلى مصر حفيد الزين المزّي وسَمِعا، وخطُّه جيِّد». اهـ.

ومن فضل الله أن هذه النسخة قد نُسِخَت في حياة المؤلف وقرأها الناسخ عليه، فهي أصيلة جليلة لولا النقص الذي حصل في أولها وبعض البياضات فيها بسبب الرطوبة أو تلاصق الأوراق ورمزت لها بحرف (ش).

وتبدأ ترجمة ابن تيمية فيها من ورقة ٨٥ إلى ٨٧، وترجمة الحافظ البِرْزَالي من ورقة ١٢٥ إلى ١٢٧، وترجمة الحافظ المِزّي من ورقة ١٣٥ إلى ١٣٧.

النسخة الثانية:

نسخة جامعة ليدن بهولندا وهي برقم (٣٢٠) وتقع في نحو ١١٦ ورقة، وقد نُسِخَت سنة ٨٧٥هـ وهي نسخة كاملة جيدة وناسخها هو عبد القادر بن عبد الوهاب بن عبد المؤمن القرشي[1]، ورمزت لها بحرف (ل).

وتبدأ ترجمة ابن تيمية فيها من ص ٣٦٢ إلى ص ٣٦٥ حسب ترقيمٍ حديثٍ، وترجمة البِرْزالي من ص ٤٢١ إلى ص ٤٢٤، والمِزّي من ص ٤٣٥ إلى ص ٤٣٩.

هذا وقد قابلت بين هاتين النسختين وعزوت إلى المصادر المُتَرْجِمَة للأئمة الثلاثة، وعلقت بما رأيت أنه يناسب، وأسأل الله العلي العظيم أن ينفع بهذه التراجم شداة العلم، وأن تكون من باب شحذ

---

(١) وهو ناسخ كتاب رحلة ابن جبير المطبوع في دار بيروت سنة ١٣٩٩هـ.

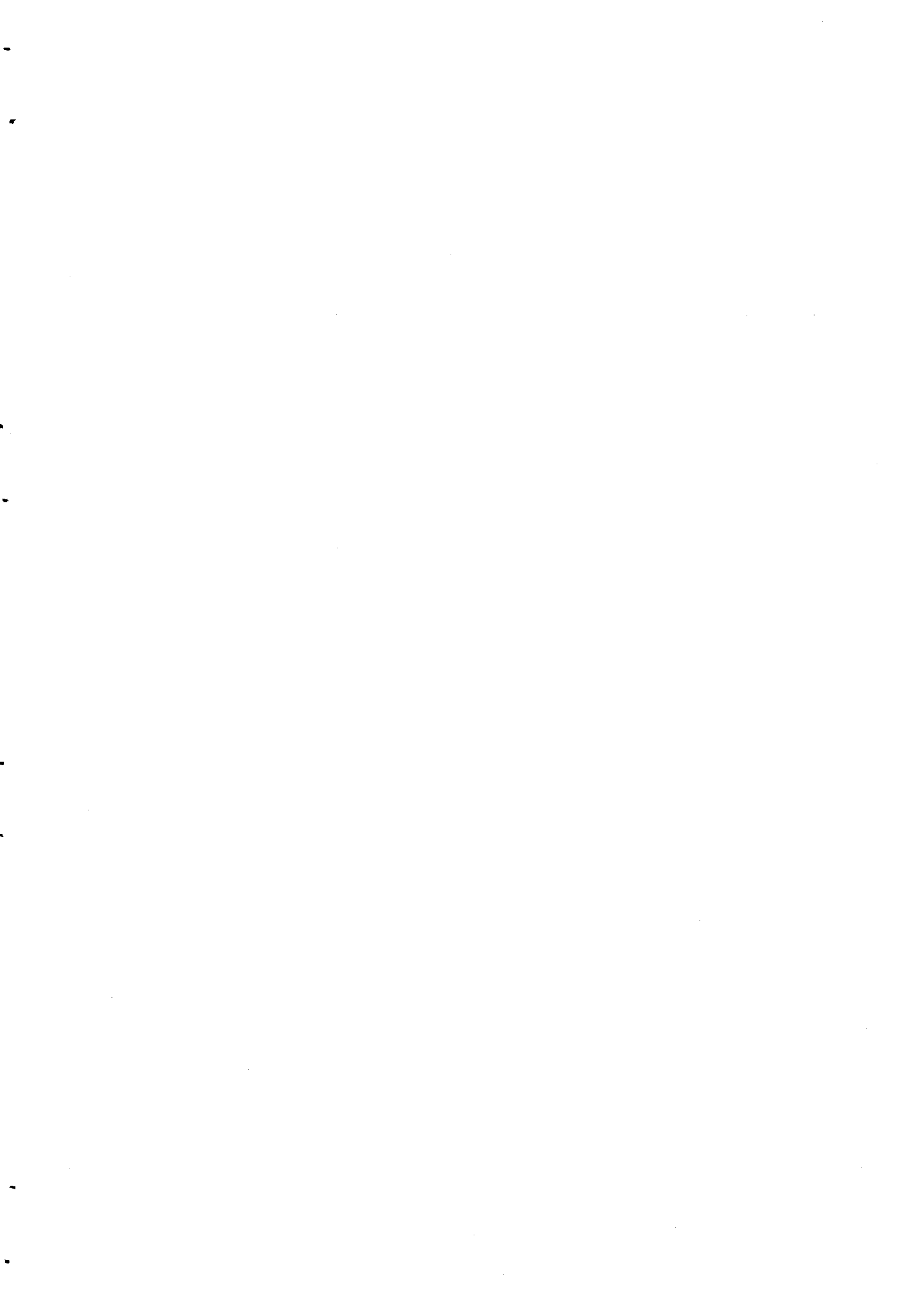
الهمم، والتحلي بأخلاق هؤلاء الأئمة رحمهم الله، وصلَّى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت ــ الجهراء المحروسة ــ

١٩/ ٤/ ١٤١٥هـ ــ ٢٤/٩/ ١٩٩٤م

صُوَرُ المخطوطاتُ

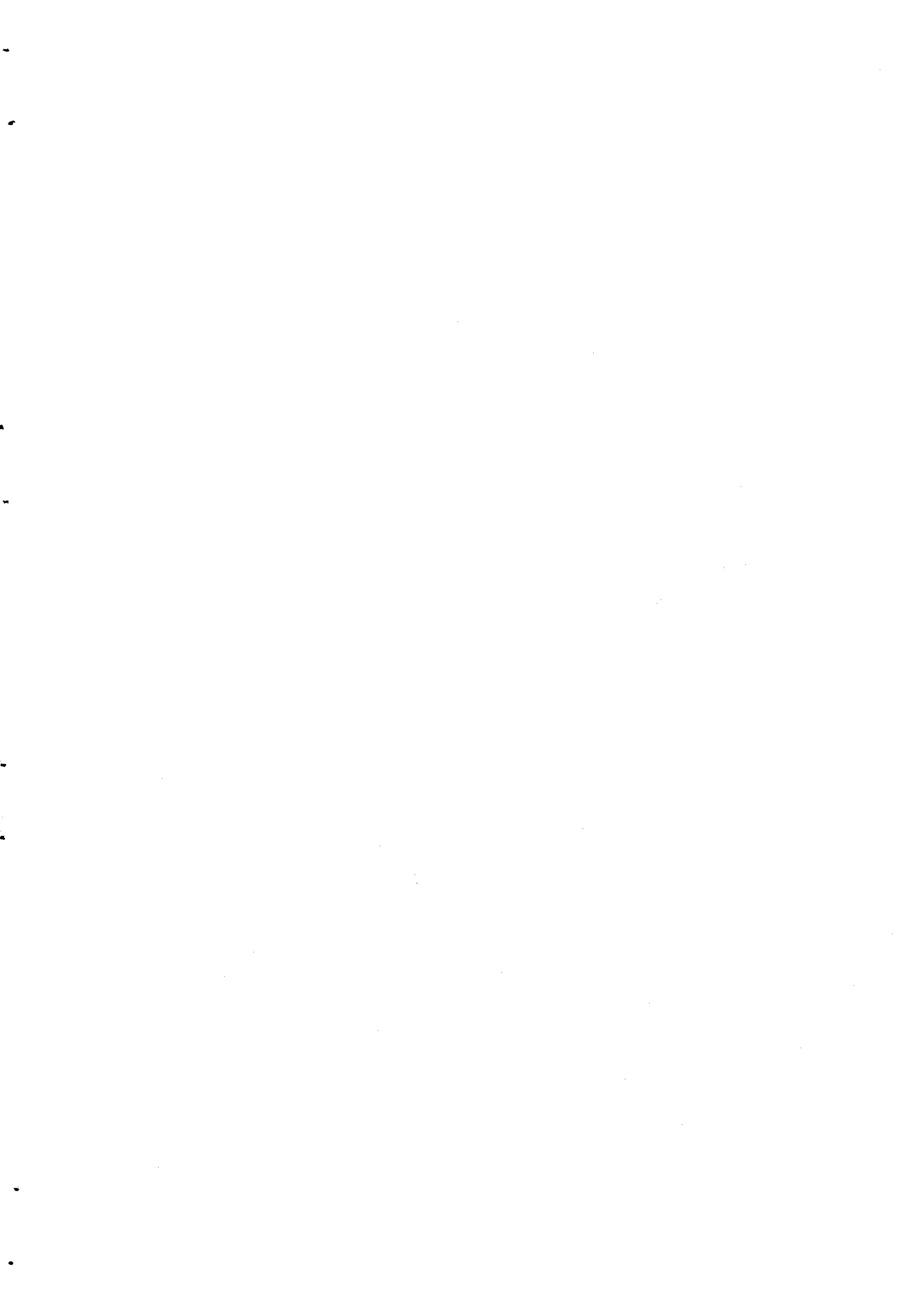


نموذج من خط الحافظ الذَّهبي، وذلك من كتابه «أهل المائة فصاعداً» نسخة الظاهرية برقم (٤٥٤٧ ـ عام) وقد أجاز به جماعة من أهل العلم ومنهم ناسخ الكتاب

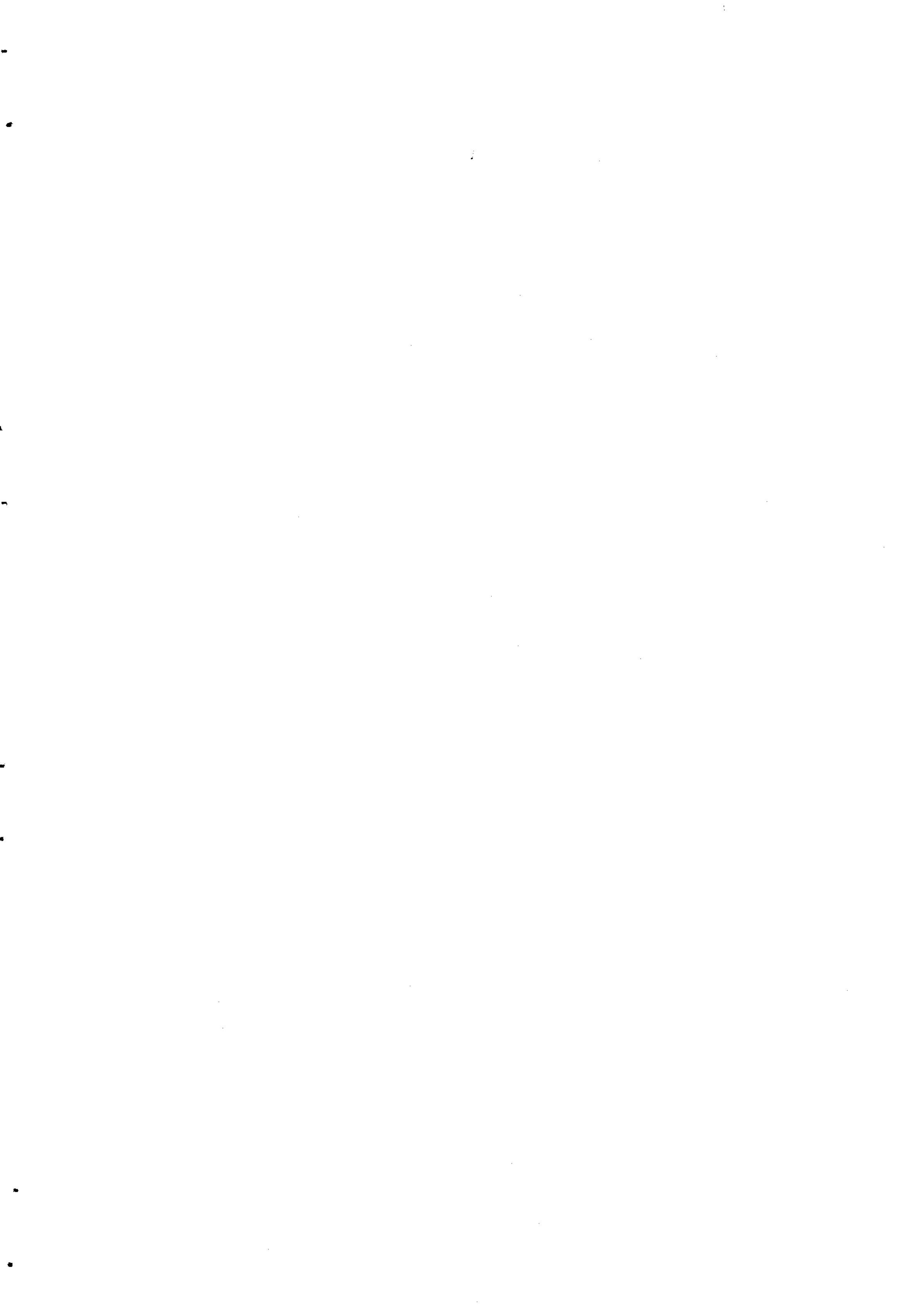
الورقة الأخيرة من نسخة شستربتي وفيها ذكر قراءة الناسخ على الحافظ الذهبي

قرأت [illegible] من الذيل وهي آخر الكتاب على جامعها سيدنا وشيخنا الإمام
العالم العلامة [illegible] الحافظ شيخ الإسلام [illegible] العصر
[illegible] أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي [illegible]
في [illegible] فصح ذلك في مجالس آخرها يوم الخميس سابع عشر
رمضان المعظم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالمدرسة الصدرية الحنبلية
بدمشق المحروسة وأجاز لي ما يجوز له روايته وكتب أبو حفص عمر بن عبد العزيز
بن عبد الله [illegible] عفا الله عنهم وقد حررناه وصححناه
حسب الطاقة والحمد لله رب العالمين [illegible] وقرأت منه كثيرا وأجاز لي [illegible]
[illegible] وكانت القراءة [illegible] بدمشق وكتب عمر بن عبد الله بن أحمد الزرندي [illegible]
في سنة [illegible] بولاية الرشيد الدين مدرس [illegible]
[illegible] وسبعين وثمانمائة [illegible] وفاة [illegible] محمد بن محمد بن
[illegible] الحارثي المعروف بابن قاضي المرداوي والقاضي أمين الدين يوسف بن
قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفي الدمشقي وشيخنا الإمام
أبو العباس أحمد بن [illegible] والعماد بن جماعة بالقدس
وشيخنا [illegible] شمس الدين محمد بن أحمد [illegible] الدمشقي
والقاضي [illegible] الدين أحمد بن [illegible] الحنفي قاضي القضاة [illegible]
القاضي محمد بن يوسف [illegible]
والقاضي الإمام العلامة [illegible] الدين محمد بن [illegible] الحنفي المعروف بابن [illegible]
قاضي العساكر [illegible] العدل [illegible] بالقاهرة والقاضي بدر الدين [illegible]
[illegible] الشيوخ [illegible] قاضي القضاة [illegible] الشيوخ علاء الدين علي بن إسماعيل
[illegible] بالقاهرة والقاضي بدر الدين العلامة الأوحد [illegible] شمس الدين
محمد [illegible] الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادي المالكي
[illegible] ببغداد مدرس المستنصرية بها [illegible] مدرس الحنابلة [illegible]
ابن [illegible] الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي نسبا
[illegible] المالكي [illegible] الأصول
[illegible] المعروف بابن أم قاسم أخذ العلم عن جماعة
[illegible] أبي عبد الله [illegible] أبي زكريا [illegible]
بالاشتغال على الأستاذ [illegible] أبي حيان وأخذ الفقه عن الشيخ
[illegible] الدين [illegible] المالكي وأخذ الأصول عن الشيخ شمس الدين ابن [illegible]

الورقة الأولى من نسخة ليدن



شَيخ الاسلام ابْن تَيميّة



* قال الإمام ابن قيم الجوزية بعد كلام له عن شيخ الإسلام:
«. . .وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قَلباً، وأَسرهم نَفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكُنَّا إذا اشتد بنا الخوف، وسائت منّا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلاَّ أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقُوة ويقيناً وطمأنينة. . .». [الوابل الصيب (ص ٦١)]

* وقال الحافظ ابن رجب: «وصُلِّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون: أنه نُودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة: الصلاة على ترجمان القرآن». [ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٧)]

نموذج من خط شيخ الإسلام وهي قطعة من منهاج السنَّة النبوية. انظر كتاب علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الدحيان ص ٣٥٧.

في البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٢٩) في وفيات سنة ٧٤٩هـ: «وفي هذا اليوم توفي الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي كاتب مصنفات شيخنا العلاَّمة ابن تيميَّة، كان أبصر بخط الشيخ منه إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا، وكان سريع الكتابة لا بأس به، ديناً عابداً، كثيراً التلاوة حسن الصلاة...».

ابـنُ تَيْمِيَّـةَ(١)

الشيخ، الإِمام، العالِم، المُفَسِّر، الفقيه، المجتهد، الحَافِظ،

(١) تذكرة الحفاظ للمصنف (٤/١٤٩٦، ١٤٩٧)، وذيل العبر له (ص ١٥٧، ١٥٨)، والمعجم الكبير (١/٥٦)، والمعجم المختص (ص ٢٥)، ودول الإِسلام (٢/٢٣٧)، والمعين له أيضاً (ص ٢٣٧)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٤/٢٧٩ ــ ٢٩٦)، وبرنامج الوادي آشي (ص ١٠٩)، وتاريخ ابن الوردي (٢/٤٠٦ ــ ٤١٣)، وفوات الوفيات لابن شاكر (١/٧٤ ــ ٨٠)، وأعيان العصر للصفدي (١/ ٦٠ أ ــ ٦٦ ب نسخة الحرم المكي برقم ٢٠٢)، والوافي بالوفيات له أيضاً (٧/ ١٥ ــ ٣٣)، ومرآة الجنان لليافعي (٤/ ٢٧٧، ٢٧٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٣٥ ــ ١٣٩)، ودرة الأسلاك لابن حبيب (١١٧/ب ــ نسخة أحمد الثالث)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٣٨٧ ــ ٤٠٨)، وذيل التقييد لتقيّ الدِّين الفاسي (١/ ٣٢٤)، والدرر الكامنة لابن حجر (١/ ١٤٤ ــ ١٦٠)، والمنهل الصافي لابن تغري بردي (١/٣٥٨ ــ ٣٦٢)، والنجوم الزاهرة له (٩/ ٢٧١ ــ ٢٧٢)، والدليل الشافي له (١/ ٥٦)، والمقصد الأرشد لابن مفلح (١/ ١٣٢ ــ ١٣٩)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٤٦ ــ ٥٠)، والدر المنضد للعليمي (٢/ ٤٧٦ ــ ٤٨٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٨٠ ــ ٨٦)، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ٦٣ ــ ٧٢)، وقد أفرده جمع من العلماء بالترجمة، منهم تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي في كتاب سَمَّاه «العقود الدرية في مناقب شيخ الإِسلام ابن تيمية» وهو مطبوع ومشهور، وهناك دراسات كثيرة عنه رحمه الله تعالى.

المُحَدِّث شيخ الإسلام، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهِرَة، والذكاء المُفْرط، تقي الدِّين أبو العباس أحمد بن العالِم المُفْتي شهاب الدِّين عبد الحليم بن الإمام شيخ الإسلام مجد الدِّين أبـي البركات عبد السلام مؤلف «الأحكام»[1] بن عبد الله بن أبـي القاسم الحَرَّاني بن تَيْمِيَّة، وهو لقب لجده الأعلىٰ.

مولده في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين [وستمائة][2] بِحَرَّان.

وتَحوَّل به أبوه، وأقاربه إلى دمشق في سنة سبع وستين عند جور التتار منهزمين في الليل يجرون الذرية والكتب على عَجَلَة، فإن العدو ما تركوا في البلد دواب سوى بقر الحرث، وكَلَّت البقر من ثقل العجلة، ووقف الفران، وخافوا من أن يدركهم العدو، ولجأوا إلى الله تعالى فسارت البقر بالعجلة، ولَطَف الله تعالى، حتى انحازوا إلى حدِّ الإسلام، فَسَمِعَ من ابن عبد الدائم، وابن أبـي اليُسْر، والكمال بن عَبْد، وابن أبـي الخير، وابن الصَّيْرَفي، والشيخ شمس الدِّين، والقاسم الإربلي، وابن عَلاَّن، وخلق كثير، وأكْثَر، وبالَغَ، وقرأ بنفْسِه على جماعة، وانتخب ونَسَخَ عدة أجزاء، و «سنن أبـي داود»، ونظر في

(١) هو كتاب المنتقىٰ في الأحكام عن خير الأنام، وهو مطبوع ومتداول، وقد عَمِلَ لهذا الكتاب ومؤلفه دراسة وافية جادة فضيلة الشيخ محمد بن عمر بازمول المكي حفظه الله ورعاه.

(٢) ما بين المعكوفين من (ل).

الرجال والعلل، وصار من أئمة النقد، ومن علماء الأثر مع التَّدَيُّن، والنَّبَالة، والذِّكر والصِّيانَة، ثُمَّ أقبل على الفقه، ودقائقه، وقواعده، وحِجَجه، والإجماع، والاختلاف، حتى كان يُقضى منه العجب، إذا ذكر مسألة من مسائِل الخلاف، ثُمَّ يستدل، ويُرجح، ويَجتهد، وحُقَّ له ذلك، فإن شروط الإجتهاد كانت قد اجتمعت فيه، فإنني ما رأيت أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يورِدُها منه، ولا أشد استحضاراً لِمتون الأحاديث، وعَزْوِها إلى «الصَّحيح» أو إلى «المسند» أو إلي «السُّنَن» منه، كَأَنَّ الكتاب والسُّنَن نَصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رَشِقَة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف، وكان آيةً من آيات الله تعالى في التفسير، والتوسع فيه، لعله يبقىٰ في تفسير الآية المجلس والمجلسين، وأما أصول الدِّيانة، ومعرفتها، ومعرفة أحوال الخوارج، والروافض، والمعتزلة، وأنواع المبتدعة، فكان لا يُشقُّ فيه غبارُهُ، ولا يُلْحَقُ شَأْوه، هذا مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أشاهد مثله قَطُّ، والشجاعة المُفْرِطَة التي يُضرب بها المثل، والفراغ عن ملاذّ النفس من اللباس الجميل، والمأكل الطيب، والراحة الدنيوية، ولقد سارت بتصانيفة الرُّكبان في فنون من العلم، وألوان، لعل تواليفه، وفتاويه في الأصول والفروع، والزهد، واليقين، والتوكل، والإخلاص، وغير ذلك، تبلغ ثلاث مئة مجلد، لا بل أكثر، وكان قَوَّالاً بالحق، نَهَّاءً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار، ومن خالطه وَعَرَفَهُ قد ينسبني إلى التقصير في وصفه، ومَن

نابذه وخالفه ينسبني إلى التغالي فيه، وليس الأمر كذلك، مع أنني لا أعتقد فيه العِصمة، كلا فإنه مع سعة عمله، وفرط شَجاعته، وسيلان ذهنه، وتعظيمه لِحُرمات الدِّين، بَشَرٌ من البَشَر تعتريه حِدَّة في البحث، وغَضَب، وشَظَف للخصم، يزرع له عداوة في النفوس، ونفوراً عنه، وإلاَّ والله فلو لاطف الخصوم، ورفق بِهم ولَزِمَ المُجاملة، وحَسَّنَ المُكالمة، لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم وأئمتهم خاضعون لعلومه وفقهه، معترفون بشفوفه وذكائِه، مُقِرُّون بِنُدُورِ خَطَئِه لست أعني بعض العلماء الذين شِعارهم وهُجَّيْراهم الاستخفافُ به، والازدراءُ بِفَضلِه، والمقت له، حتى استجهلوه وكفروه[1]، ونالوا منه من غير أن ينظروا في

---

(١) وفي هذا المقام يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن نفسه:
«هذا وأنا في سعة صدر لمن يخالفني، فإنه وإن تعدىٰ حدود الله فيّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء أو عصبية جاهلية: فأنا لا أتعدى حدود الله فيه. بل أضبط ما أقوله، وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتماً بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكماً فيما اختلفوا فيه. قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].
وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ... ﴾ الآية [النساء: ٥٩].
وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].
وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨]..
وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]». مجموع الفتاوى له (٣/ ٢٤٥).

تصانيفه، ولا فهموا كلامه، ولا لهم حظ تام من التوسع في المعارِف، والعالِمُ منهم قد يُنصفه ويرد عليه بِعِلم، **وطريق العقل السكوت عما شجر بين الأقران**، رحم الله الجميع، وأنا أقل من أن ينبه على قدره كلمي، أو أن يوضح نبأه قلمي، فأصحابه وأعداؤه خاضعون لِعِلْمِه، مقرون بسرعة فهمه، وأنه بحر لا ساحل له، وكنز لا نظير له، **وأن جُودَه حاتمي، وشجاعته خالدية**، ولكن قد يَنْقِمون عليه أخلاقاً، وأفعالاً، منصفهم فيها مأجور، ومقتصدهم فيها معذور، وظالمهم فيها مأزور، وغاليهم مغرور، وإلى الله ترجع الأمور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، والكمال للرسل، والحجة في الإجماع، **فرحم الله امرءاً تكلَّم في العلماء بعلم، أو صمت بحلم، وأمعن في مضايق أقاويلهم بِتَؤُدة وفهم، ثُمَّ استغفر لهم، وَوَسَّع نِطَاق المعذرة**، وإلاَّ فهو لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته، فقد أقررت على نفسك بالهوى، وعدم الإنصاف، وإن قلت لا أعذره لأنه كافر، عدو الله تعالى ورسوله، قال لك خَلْق من أهل العِلم والدِّين: **ما علمناه والله إلَّا مؤمناً**، محافظاً على الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظماً للشريعة ظاهراً وباطناً، لا يؤتى مِن سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا مِن قِلة علم فإِنَّه بحر زخَّار، بصير بالكتاب والسُّنَّة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدِّين، فلو كان كذلك لكان أسرع شيء إلى مداهنةِ خصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو يتفرد بمسائل بالتَّشَهي، ولا يفتي بما اتفق، بل

مسائِله المفردة يحتج لها بالقرآن وبالحديث أو بالقياس، ويبرهنُها ويناظرُ عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث أسوة من تقدمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب فله أجران، وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يُبْدِ حُجةً، ورجل تكلم في مسألة بلا خَميرةٍ من علم ولا توسعٍ في نقل، فنعوذ بالله من الهوى والجهل، ولا ريب أنه لا اعتبار بذم أعداء العالِم، فإن الهوى والغضب يحملهم على عدم الإنصاف، والقيام عليه، ولا اعتبار بمدح خواصِّه، والغُلَاة فيه، فإن الحب يحملهم على تغطية هنَّاته، بل قد يعدّوها له محاسن، وإنما العِبرة بأهل الوَرَع والتقوى من الطرفين، الذين يتكلمون بالقسط ويقومون لله ولو على أنفسهم وآبائهم، **فهذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه دُنْياً ولا مالاً ولا جاهاً بوجه أصلاً**، مع خبرتي التَّامة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا عقلي أن أكتم محاسنه، وأدفن فضائِله، وأبرز ذنوباً له مغفورة في سعة كرم الله تعالى، وصفحة مغمورة في بحر علمه، وجوده، فالله يغفر له، ويرضى عنه، ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه، مع أني مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، قد أبديت آنفاً أن خطأه فيها مغفور، بل قد يثيبه الله تعالى فيها على حُسن قصده، وبذل وُسْعِه، والله الموعد، مع أني قد أوذيت لكلامي فيه من أصحابه وأضداده، **فحسبي الله**.

وكان الشيخ أبيض، أسودَ الشعر واللحية، قليل الشيب، شَعره إلى شحمة أُذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، رَبْعَةٌ من الرِّجال، بعيد ما

بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً، سريع القراءة، تعتريه[1] حِدَّةٌ، ثُمَّ يقهرها بحلم وصفح، وإليه كان المنتهىٰ في فرط الشجاعة، والسماحة، وقوة الذكاء، ولم أرَ مثله في ابتهاله واستغاثته بالله تعالى، وكثرة توجهه.

وقد تعبت بين الفريقين، فأنا عند مُحِبِّه مُقَصِّر، وعند عَدُوِّه مُسْرِف مُكْثِر، كلا والله.

توفي ابن تيمية إلى رحمة الله تعالى مُعْتَقَلاً بقلعة[2] دمشق، بِقاعة بها بعد مرض جدَّ أياماً في ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وصُلِّي عليه بجامع دمشق[3] عقب الظهر، وامتلأ الجامع بالمصلين كهيئة يوم الجمعة حتى طلع النّاس لتشييعه من أربعةِ أبوابِ البلد، وأقل ما قيل في عدد مَن شَهِدَه خمسون ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، وحُمِل على الرؤوس إلى مقابر الصوفية، ودُفِن إلى جانب أخيه الإمام شرف الدِّين، ــ رحمهما الله تعالى وإيانا [والمسلمين][4].

❑ ❑ ❑

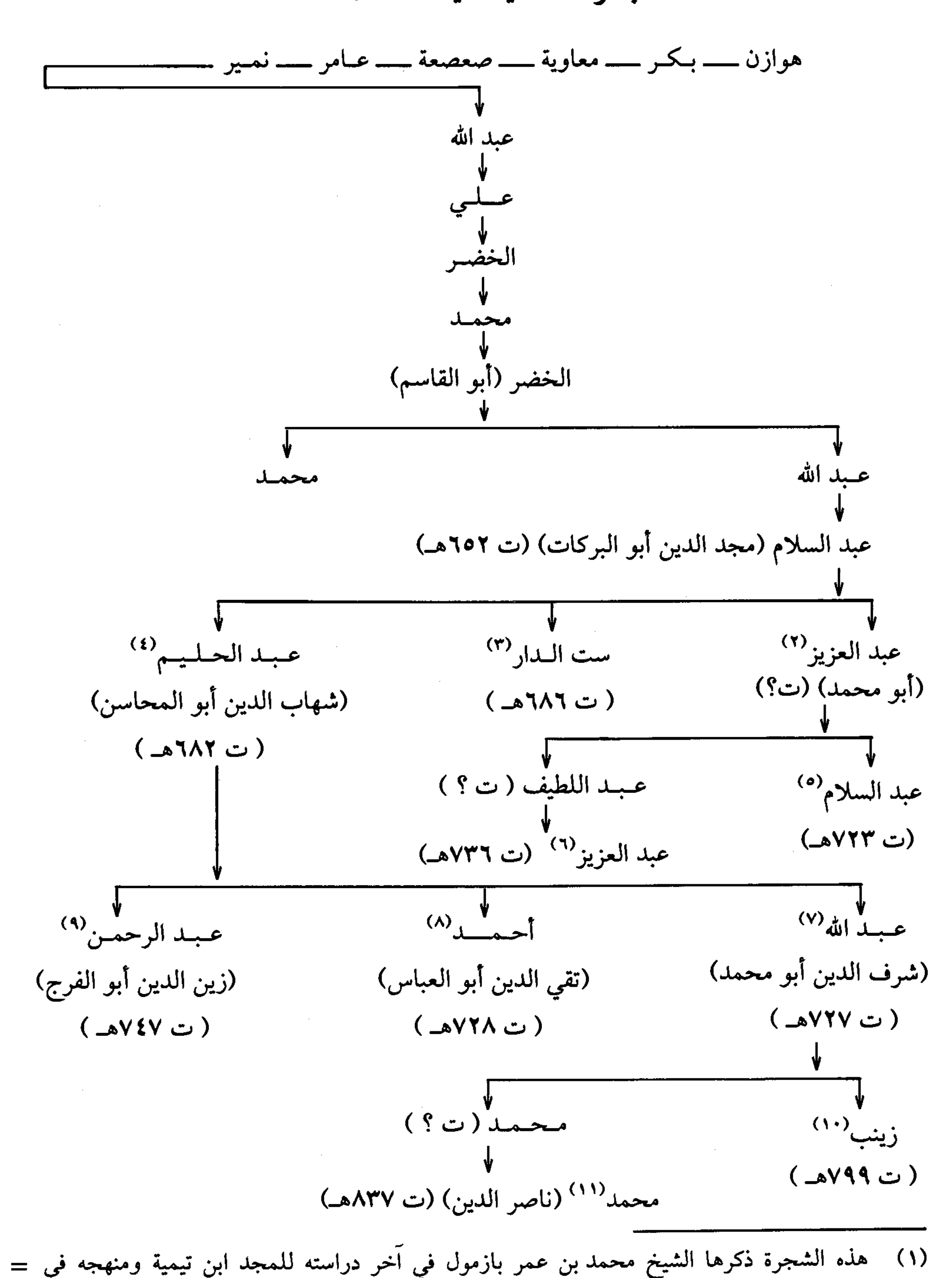
(١) في (ل): «يعتريه».

(٢) في (ش): «إلى قلعة».

(٣) أي الجامع الأموي.

(٤) من (ل).

شجرة آل تيمية[1] / (أ)



(١) هذه الشجرة ذكرها الشيخ محمد بن عمر بازمول في آخر دراسته للمجد ابن تيمية ومنهجه في =

. . . .

= منتقى الأحكام، والتي تقدم بها لنيل درجة الماجستير في جامعة أم القرى سنة ١٤٠٨هـ وهي لم تطبع بعد، وقد استأذنت من جنابه الكريم في ذكر هذه الشجرة فأذن بذلك حفظه الله وأناله رضاه.

(٢) وجدت له سماعاً لكتاب «الدعاء» للطبراني (١/ ٩٧) قيده بيده عام ٦٣٤هـ بجامع حلب، كما وجدت له سماعاً آخر لجزء فيه «ذكر أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني» لابن منده، طبع في نهاية «معجم الطبراني الكبير» (٢٥/ ٣٣١).

(٣) أعلام النساء (٢/ ١٥٤).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣١٠)، ووجدت له سماعاً لكتاب «الدعاء» للطبراني (١/ ٩٧)، ولجزء فيه «ذكر أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني» لابن منده، طبع في نهاية «المعجم الكبير» للطبراني (٢٥/ ٣٣١).

(٥) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٣٩٢).

(٦) معجم الشيوخ للذهبي (١/٣٩٨)، الدرر الكامنة ٢/ ٣٧٦.

(٧) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٣٢٣). ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٢)، الشذرات (٦/ ٧٦).

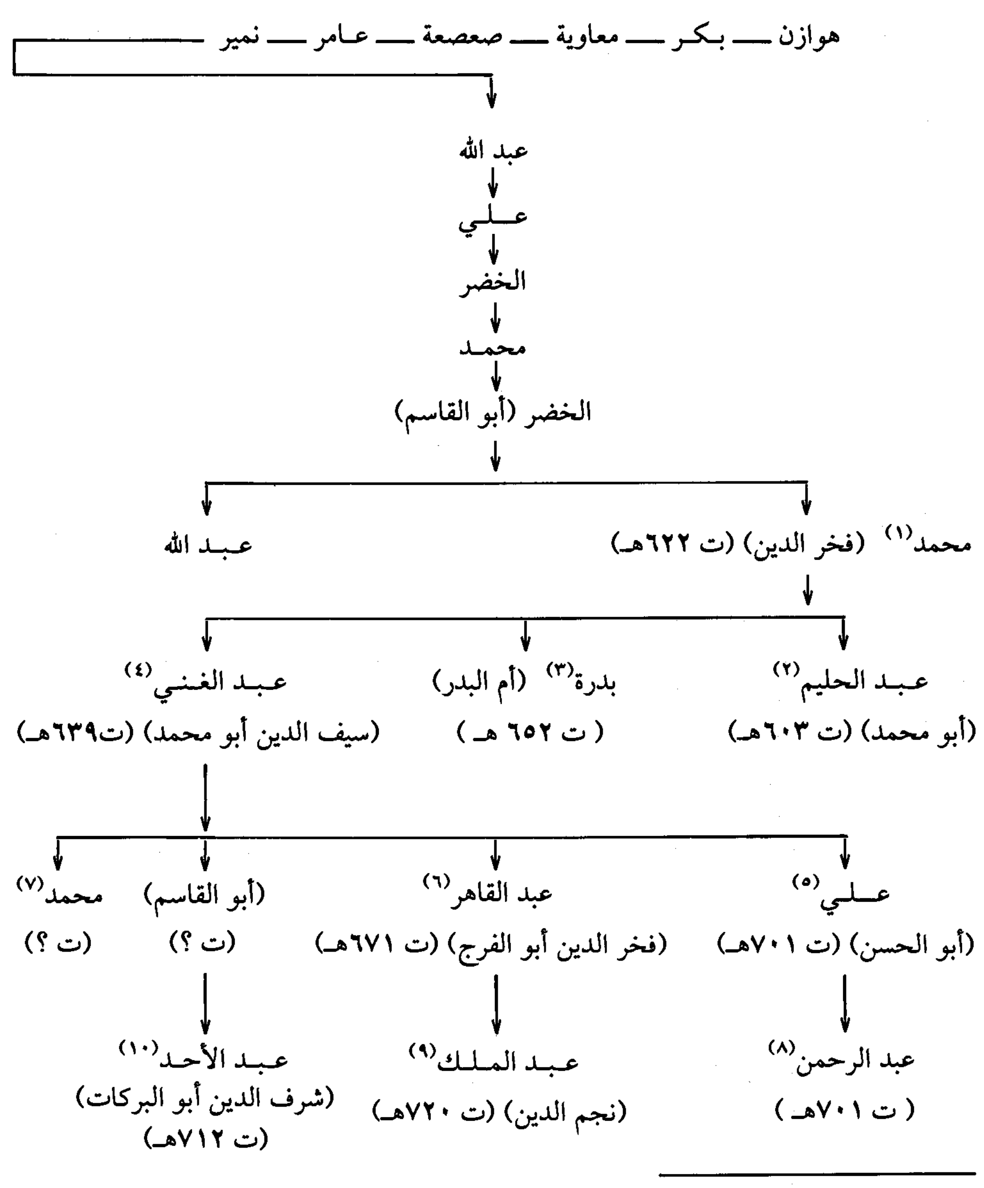
(٨) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٥٦)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧)، فوات الوفيات (١/ ٧٤).

(٩) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٣٦١)، الوفيات لابن رافع (٢/ ٣٧)، الدرر الكامنة (٢/ ٣٢٩)، ومن طريقه يروي الحافظ الذهبي، والحافظ ابن حجر نسخة وكيع عن الأعمش. انظر نسخة وكيع (ص ١٧).

(١٠) الشذرات (٦/ ٣٥٨)، أعلام النساء (٢/ ٧٤).

(١١) إنباء الغمر (٨/ ٣٢٦)، الضوء اللامع (٩/ ١٢٤).

شجرة آل تيمية / (ب)



---

(١) النبلاء (٢٢/٢٢٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/١٥١)، النجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٣).

(٢) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ١٢)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩)، الشذرات (٥/ ١٠).

(٣) صلة التكملة لوحة (١٠٠/ب).

. . . .

= (٤) التكملة لوفيات النقلة (٣/ ٥٧٠)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٢).

(٥) معجم الشيوخ للذهبي (٢/ ٣٢)، ووجدت له سماعاً لجزء فيه «ذكر أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني» لابن منده، طبع في آخر المعجم الكبير للطبراني (٢٥/ ٣٦٦).

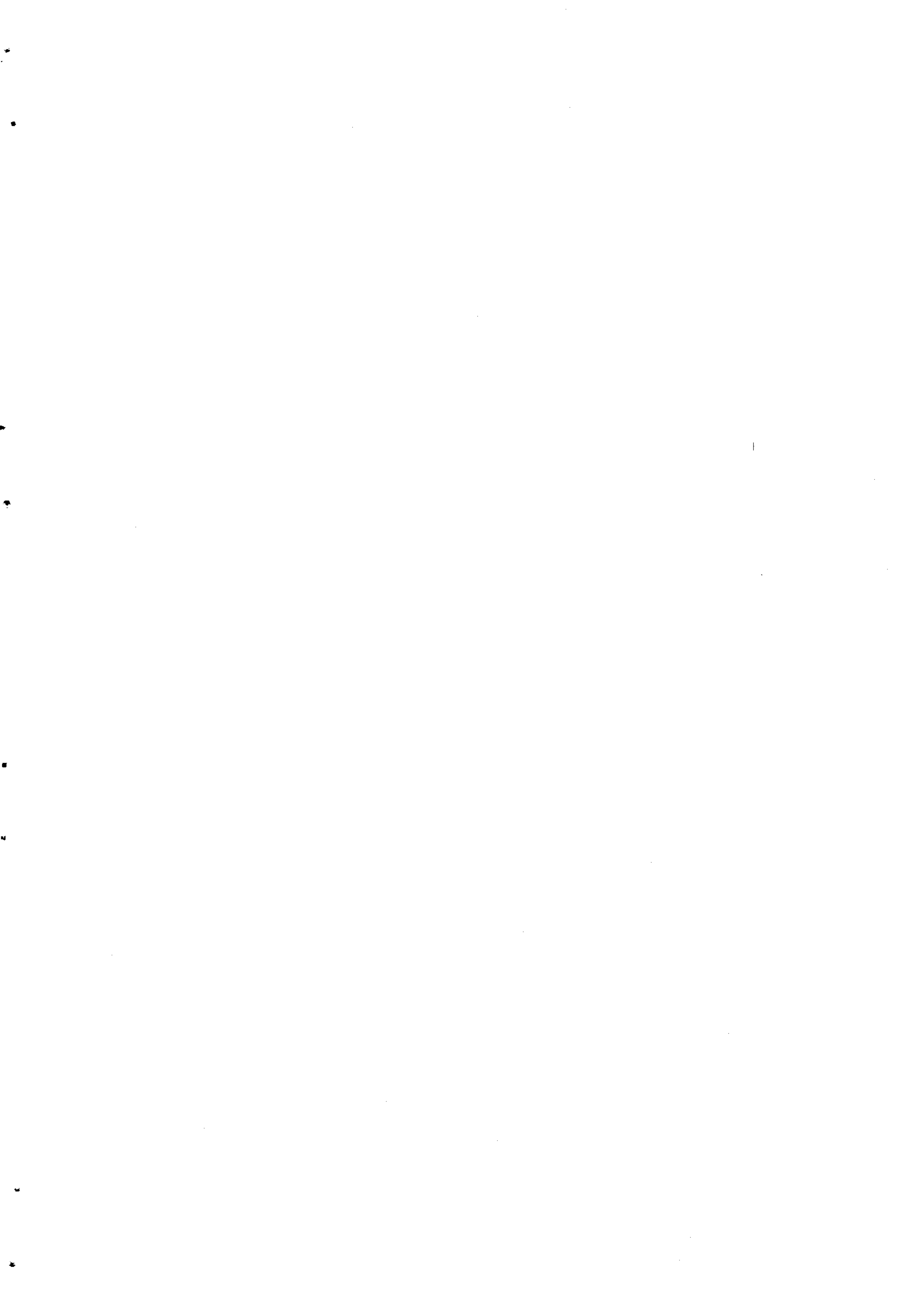
(٦) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٨٢)، الشذرات (٥/ ٣٣٤)، ووجدت له سماعاً لجزء فيه «ذكر أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني» لابن منده، طبع في آخر المعجم الكبير للطبراني (٢٥/ ٣٦٦).

(٧) له سماع في جزء «فيه ذكر أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني» لابن منده آخر المعجم الكبير (٢٥/ ٣٦٦).

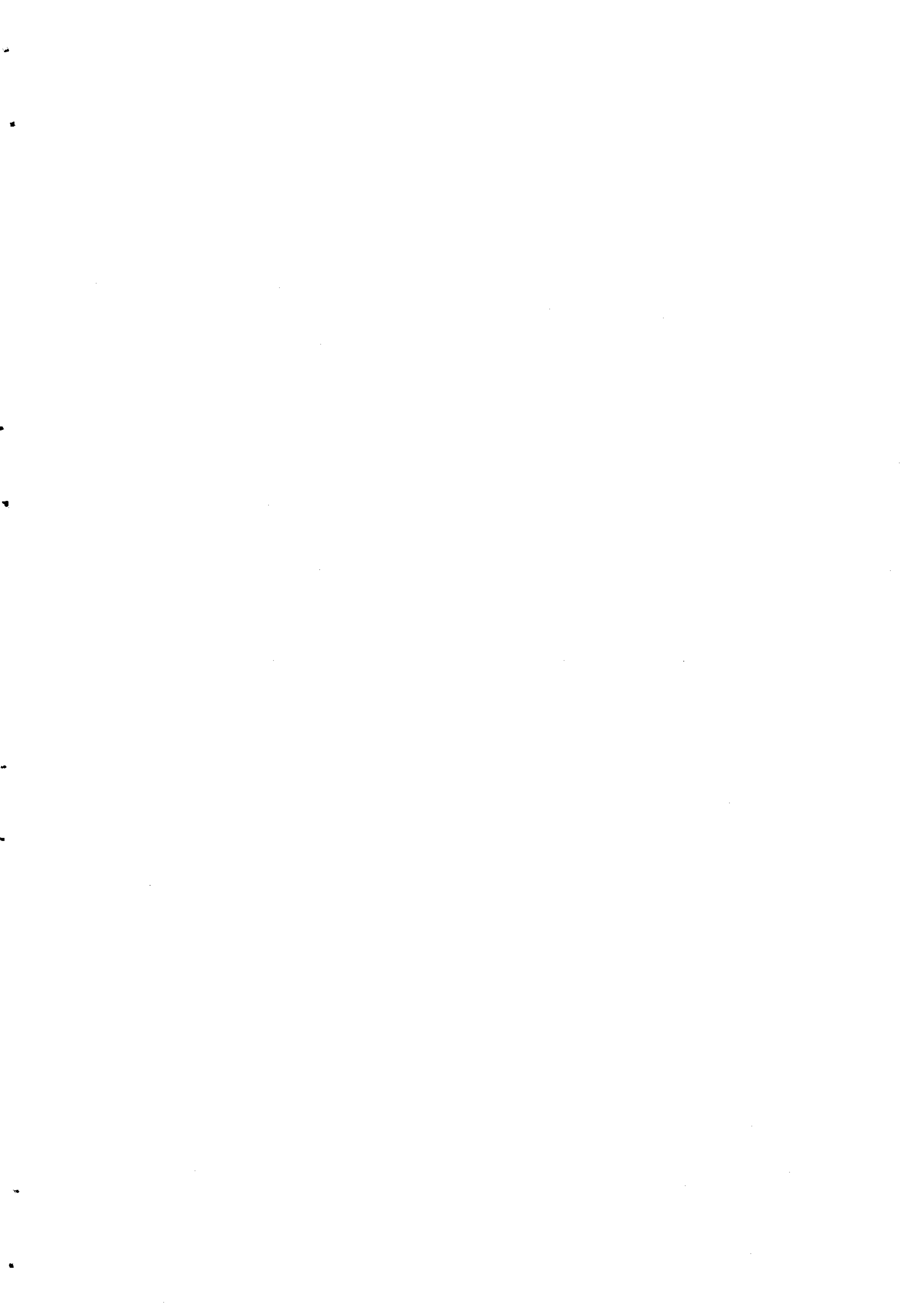
(٨) الدرر الكامنة ٢/ ٣٣٦.

(٩) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٤٢١).

(١٠) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٣٤٦)، ذيل العبر (٤/ ٣٤)، الدرر الكامنة (٢/ ٣١٤).



الحافظ علم الدّينْ البِرْزالي



* قال الإمام صلاح الدِّين الصَّفدي: «وكان ـ أي البِرْزالي ـ دائِم البِشَر جَميل الوُدّ، وكان من عَقْلِه الوَافر وفضله السَّافر أنَّه يصحب المُتَعاديين. وكُل منهما يعتقد صَحَّة وده ويَبث سِرَّه إليه، وكان العَلاَّمة تقي الدِّين ابن تيميَّة يَوده ويصحبُهُ، والشيخ العلاَّمة كمال الدِّين ابن الزملكاني يصحبه ويوده ويثني عليه». [أعيان العصر للصفدي (٨/٢٨أ)]

* وقال الحافظ ابن كثير: «...وكان له خَطٌ حَسنٌ، وخُلُقٌ حَسن، وهو مشكور عند القُضَاة ومشايخه أهل العلم، سَمِعت العَلاَّمة ابن تيميَّة يقول: نَقل البِرْزَالِي نَقْرٌ في حَجَر. وكان أصحابه من كل الطوائِف يحبونه ويكرمونه...». [البداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٨٥)]

نموذج من خط الحافظ البِرْزَالي وهو سماعه بخطه لكتاب طرق حديث «من كذب عليّ متعمداً» للطبراني، نسخة الظاهرية (مجموع ٨١)

سمع جميع هذا الجزء وهو طرق حديث من كذب علي متعمداً جمع أبي القاسم الطبراني

على الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة شمس الدين أبي الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر

الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي [illegible]

[illegible]

البِـرْزَالِـي[1]

هو الشَّيخ المُحَدِّث، الإمام، العَالِم، الحَافِظ، مُفيد الشَّام، مؤرخ الإسلام، علم الدِّين أبو محمد القَاسم بن العَدل الكبير بَهاء الدِّين

---

(١) ذيل العبر للمصنف (ص ٢٠٩)، وتذكرة الحفاظ له (٤/ ١٥٠١)، والمعجم الكبير (٢/ ١١٥)، والمعجم المختص (ص ٧٧)، ودول الإسلام (٢/ ٢٤٥)، وبرنامج الوادي آشي (ص ١٠٠)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ٤٦٧)، وأعيان العصر للصفدي (٨/ ٢٧ أ ــ ٢٩ أ) بخط المصنف نسخة آيا صوفيا)، والوافي بالوفيات (٢٤/ ١٦١ ــ ١٦٣)، وفوات الوفيات لابن شاكر (٣/ ١٩٦)، ومرآة الجنان لليافعي (٤/ ٣٠٣)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٠/ ٣٨١)، ومعجم شيوخه (١٣٦/ ب ــ ١٤١ أ)، وطبقات الشافعية للإسنوي (١/ ٢٩٢)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٨٥ ــ ١٨٦) والوفيات لابن رافع (١/ ٢٨٩)، ودرة الأسلاك لابن حبيب (١٣٤/ ب)، وعقود الجمان للزركشي (٢٤٨/ أ ــ نسخة الفاتح ٤٤٣٤)، وذيل التقييد للفاسي (٢/ ٢٦٨)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٢٧٩)، والدرر الكامنة (٣/ ٢٣٧ ــ ٢٣٩)، والدليل الشافي لابن تغردي بردي (٢/ ٥٢٨)، والنجوم الزاهرة له (٩/ ٣١٩)، وغربال الزمان للعامري (ص ٦٠٧)، ورونق الألفاظ بمعجم الحفاظ لسبط ابن حجر (٢/ ١٤ ب ــ نسخة المكتبة الخالدية بالقدس برقم ١٤ ــ بخط المصنف)، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (١/ ١١٢، ١١٣)، وشذرات الذهب (٦/ ١٢٢ ــ ١٢٣)، والبدر الطالع (٢/ ٥١).

محمد بن يوسف بن الحافظ زكي الدِّين البِرْزَالي الإشبيلي الدِّمشقي الشَّافعي، شيخ الحديث، ولد في جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة، وحَفِظ القرآن و «التنبيه» ومقدمة في صغره، وسَمِـعَ سنة ثلاث وسبعين من أبيه، ومن القاضي عز الدِّين بن الصائغ، فلما سمعوا «صحيح مسلم» من الإربلي بعثه والده فسَمِـعَ الكتاب في سنة سبع، فأحب الحديث، ونسخ أجزاءً، ودار على الشيوخ، فَسَمِـعَ من ابن أبـي الخير، وابن أبـي عمر، وابن عَلاَّن، والمقداد، وابن الدَّرَجي، وابن شَيْبَان، والفخر، وجدَّ في الطلب، وذهب إلى بعلبك، ثُمَّ ارتحل إلى حَلَب سنة خمس وثمانين، وفيها ارتحل إلى مصر، وأكْثَرَ عن العز الحراني وطبقته، وكَتَبَ بِخَطِّهِ الصحيح المليح كثيراً، وخَرَّج لنفسه وللشيوخ شيئاً كثيراً، وجلس في شبيبته مدة مع أعيان الشهود، وتقدم في الشروط، ثُمَّ اقتصر على جهات تقوم به.

وَوَرِثَ من أبيه جُملةً، وحَصَّلَ كُتباً جيدة وأجزاء في أربع خزائن، وبلغ ثبته بضعة وعشرين مجلداً، وأثبت فيه من كان سَمِـعَ معه.

وله تاريخ بدأ فيه من عام مولده الذي توفي فيه الإمام أبو شامة فجعله صلة لتاريخ أبـي شامة في خمس مجلدات أو أكثر[١].

وله مجاميع مفيدة كثيرة وتعليق، وعمل في فن الرِّواية قَلَّ من بلغ إليه.

---

(١) في مكتبة أحمد الثالث المجلد الأول والثاني منه برقم (٢٩٥١).

وبلغ عدد مشايخه بالسماع أزيدَ من ألفين، وبالإجازة أكثر من ألف، رَتَّبَ ذلك كله وترجمهم في مسوّدات متقنة.

وكان رأساً في صدق اللهجة والأمانة، صاحب سُنَّة واتباع ولزوم للفرائِض، خَيِّراً متواضعاً حَسَنَ البِشر عديمَ الشّر، فصيحَ القراءة، قوي الدربة، عالماً بالأسماء والألفاظ، سريع السرد مع عدم اللحن والدَّمج، قرأ ما لا يوصف كثرة وروىٰ من ذلك جملة وافرة، **وكان حليماً صبوراً مُتودداً، لا يتكثر بفضائِله ولا ينتقص بفاضل[1] بل يوفيه فوق حقه،** ويلاطف الناس، وله ودٌّ في القلوب وحبٌّ في الصدور، احتَسَبَ عدة أولادٍ دَرَجوا، منهم: محمد تلا بالسبع وحفظ كتباً وعاش ثماني عشرة سنة، ومنهم: فاطمة عاشت نيفاً وعشرين سنة وكتبت «صحيح البخاري» و «أحكام المجد» وأشياء.

وله إجازات عالية عام مولده من ابن عبد الدائِم، وإسماعيل بن عَزُّون، والنجيب، وابن عَلَّان، وحَدَّث في أيام شيخه ابن البخاري.

وكان حُلو المحاضرة، قويَّ المذاكرة، عارِفاً بالرِّجال والكبار لا سيما أهل زمانه وشيوخهم، يتقن ما يقوله، ولم يخلف في معناه مثله ولا عمل أحد في الطلب عمله.

حَجَّ سنة ثمان وثمانين، وأخذ عن مشيخة الحرمين، وخَرَّجَ أربعين بلدانية، ثُمَّ حج أربعاً بعد ذلك.

---

(١) في(ل): «بفضائل أخيه» والمثبت من (ش) وبعض المصادر التي نقلت عن المصنف.

وفي عام وفاته توفي بين الحرمين مُحْرِماً وغبطه الناس بذلك، وكان بَاذِلاً لكتبه وأجزائِه سَمْحاً في أموره مؤثراً متصدقاً رحوماً، مشهوراً في الآفاق مقصداً لمن يلتمس سماعه.

وكان هو الذي حَبَّبَ إليَّ طلب الحديث فإنه رأى خطي فقال: **خَطُّكَ يُشبهُ خط المُحَدِّثين، فَأَثَّرَ قوله فيّ وسمعت وتَخَرَّجت به في أشياء.**

وَلِيَ قراءة دار[1] الحديث[2] سنة عشرين[3] وسبعمائةِ، وقراءة الظاهرية[4]، وحَضَرَ المدارس وتفقه مدة بالشيخ تاج الدِّين عبد الرحمن وصَحِبَه وأكثر عنه وسافر معه، وجَوَّد القرآن على الرَّضى بن دبّوقا، وتَفَرَّد ببعض مروياته، وتَخَرَّج به الطلبة، **وما أظن الزمان يسمح بوجود مثله، فعند ذلك نحتسب مصابنا بمثله، ولقد حزن الجماعة خصوصاً رفيقه أبو الحجاج[5] شيخنا وبكى عليه غير مرة**، وكان كل منهما يُعظم الآخر ويعرف له فضله، وكان رحمه الله وعفا عنه قد أقبل على الخير في

---

(١) سقطت هذه الكلمة من (ل).

(٢) هي دار الحديث النورية وقد بنيت سنة ٥٦٦هـ، وقد بناها السلطان نور الدِّين محمود الشهيد، وكان بناؤها للإمام الحافظ ابن عساكر رحمه الله، انظر منادمة الأطلال للعَلاَّمة المتفنن ابن بدران (ص ٥٨)، وخطط دمشق للأستاذ البحاثة أكرم العُلبي (ص ٩٠).

(٣) في (ل): «عشر».

(٤) انظر للتعريف بها منادمة الأطلال (ص ١١٩)، وخطط دمشق (ص ١٣٥).

(٥) يعني الحافظ المزي.

آخر عمره، وضعف وحَصَل له فَتق، وخُتِمَ له بخير ولله الحمد، وانتقل إلى رضوان الله تعالى بخُلَيص[1] في بكرة يوم الأحد الرابع من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة ونصف، وولي بعده مشيخة النورية شيخنا المِزّي ومشيخة القوصيَّة[2] ابن رافع، ومشيخة النفيسيَّة[3] العبد، وباقي وظائِفه جماعة، ووقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقة.

قرأت على القاسم بن محمد الحَافِظ في سنة أربع وتسعين وستمائة أخبركم المُسَلَّم بن عَلاَّن، وأجاز لنا المسلم قال أنا حَنْبل، قال أنا ابن الحصين، قال أنا المذهب، قال أنا أحمد بن جعفر، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبـي، ثنا الشافعي أنبأ[4] مالك عن داود بن الحُصَيْن عن أبـي سفيان، عن أبـي سعيد رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ: «نَهَىٰ عن المُزَابَنَةِ والمُحَاقَلَةِ»[5]؛ والمزابنةُ: اشتراء الثَّمَرِ بالتَّمْرِ في رؤوس النخل، والمحاقلة: استكراء الأرض بالحنطة. وأخبرناه عالياً أبو الفضل بن تاج الأمناء قراءة بالسفح، عن المؤيد بن محمد الطوسي، قال لنا هِبَة الله بن سهل النيسابوري سنة ثلاثين

---

(١) موضع بين مكة والمدينة النبوية.

(٢) انظر منادمة الأطلال (ص ١٤٠)، وخطط دمشق (ص ١٥٤).

(٣) انظر المنادمة (ص ٦٠)، والخطط (ص ٨٩).

(٤) في (ل): «قال لنا».

(٥) أخرجه المصنف في المعجم المختص (ص ٧٨)، والحديث في «الموطأ» (٢/ ٦٢٥)، و «البخاري» (٤/ ٣٨٤)، و «مسلم» (٣/ ١١٧٩).

وخمسمائةٍ، قال: أنا سعيد بن محمد البِحَيري، قال أنا زاهر بن أحمد الفقيه، قال أنا إبراهيم بن عبد الصمد العباسي، ثنا أبو مصعب الزهري (ح) وأنا الحافظ أبو الحسين بن الفقيه، أنا مُكْرم بن محمد، قال أنا أبو يعلى حمزة بن فارس السلمي سنة أربع وخمسين وخمسمائة، ثنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم الفقيه، قال أنا أبو بكر محمد بن جعفر المِيْماسي بعسقلان سنة ثلاث وأربعين، ثنا محمد العبَّاس بن وَصيف بغزة، ثنا أبو علي الحسن بن الفرج الغزّي، ثنا يحيى بن بكير المخزومي (ح)، وأنا القاضي أبو محمد بن علوان ببعلبك، قال أنا بهاء الدِّين عبد الرحمن بن إبراهيم، قال أخبرتنا شُهْدَة الكاتِبَة قالت: أنا أحمد بن عبد القادر اليوسفي (ح) وقرأته بحلب على أبي سعيد الثغري[1] عن عبد اللطيف بن يوسف سماعاً، قال أنا يحيى بن ثابت بن بُندار، قال أنا أبي قالا: أنا عثمان بن محمد العلاف، قال أنا محمد بن عبد الله البزاز، قال أنا إسحاق بن الحسن، ثنا أبو عبد الرحمن القعنبي (ح) وأنا إسماعيل بن عبد الرحمن المعدل، قال أنا البهاء عبد الرحمن، قال أنا عبد الحق بن يوسف، قال أنا محمد بن عبد الملك الأسدي، قال أنا عمر بن إبراهيم الزهري، قال أنا أبو بكر محمد بن غريب، قال أنا أحمد بن محمد الوَشَّا، ثنا سويد بن سعيد (ح) وكتب إلينا أبو محمد بن هارون بن يونس، قال أنا أبو القاسم بن بقي، قال أنا محمد بن عبد الحق، قال أنا محمد بن

---

(١) هو سُنْقُر بن عبد الله الأرمني ثُمَّ الحَلَبي، وهو شيخ الذهبي توفي سنة ٧٠٦هـ.

الفرج الطَّلاَّعِي، قال أنا يونس بن مغيث، قال أنا أبو عيسى يحيـى بن عبيد الله بن يحيـى بن يحيـى بن يحيـى الليثي الفقيه، قال أنا عم أبـي عبيد الله بن يحيـى بن يحيـى، ثنا أبـي، (ح) وقرأت على عليّ بن محمد وجماعة عن الحسين بن المبارك، وقرأت على أحمد بن عبد المنعم القَزْويني، قال أنا محمد بن سعيد ببغداد، قالا أنا أبو زرعة المقدسي، قال أنا مكي بن عَلاَّن سنة سبع وثمانين، قال أنا القاضي أبو بكر الحيري، ثنا أبو العباس الأصم، قال أنا الربيع بن سليمان، قال أنا محمد بن إدريس الإمام جميعاً عن مالك بن أنس فذكره إلاَّ ما كان من ابن إدريس فإنه قال: عن أبـي سفيان مولىٰ بني أبـي أحمد عن أبـي سعيد الخدري أو عن أبـي هريرة رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ نهىٰ عن المزابنة والمحاقلة. وذكر الحديث فأظن الإمام رحمه الله كتبه من حفظه فتردد في اسم الصاحب، ولا يُعَدُّ ذلك من العلل المؤثرة فالحديث مخرج في «الصحيحين» لمالك من حديث أبـي سعيد رضي الله عنه بلا شك واسم أبـي سفيان قُزْمان تفرد به عنه داود بن الحُصَيْن أحد علماء المدينة، وإن كان غيره أتقن منه، فقد قفز القنطرة واعتمده مالك وصاحبـي «الصحيحين» كنيته أبو سليمان العثماني مولاهم يروي عن عكرمة والأعرج وطائفة وثَّقه ابن معين وغيره، وأما سفيان بن عيينة فقال: كُنَّا نَتَّقي حديثه، وقال أبو زرعة: لَيِّن الحديث وقال أبو حاتم الرازي: لولا مالِكاً حَدَّث عنه لَتُرِكَ حديثه، وقال إمام الصنعة علي بن المديني: ما رواه عن عكرمة فمنكر، وقال أبو داود:

أحاديثه عن عكرمة مناكير، وعن غيره: مستقيم الحديث، وقال عباس بن محمد الدوري: هو عندي ضعيف، وقال ابن عدي: صالح الحديث[1].

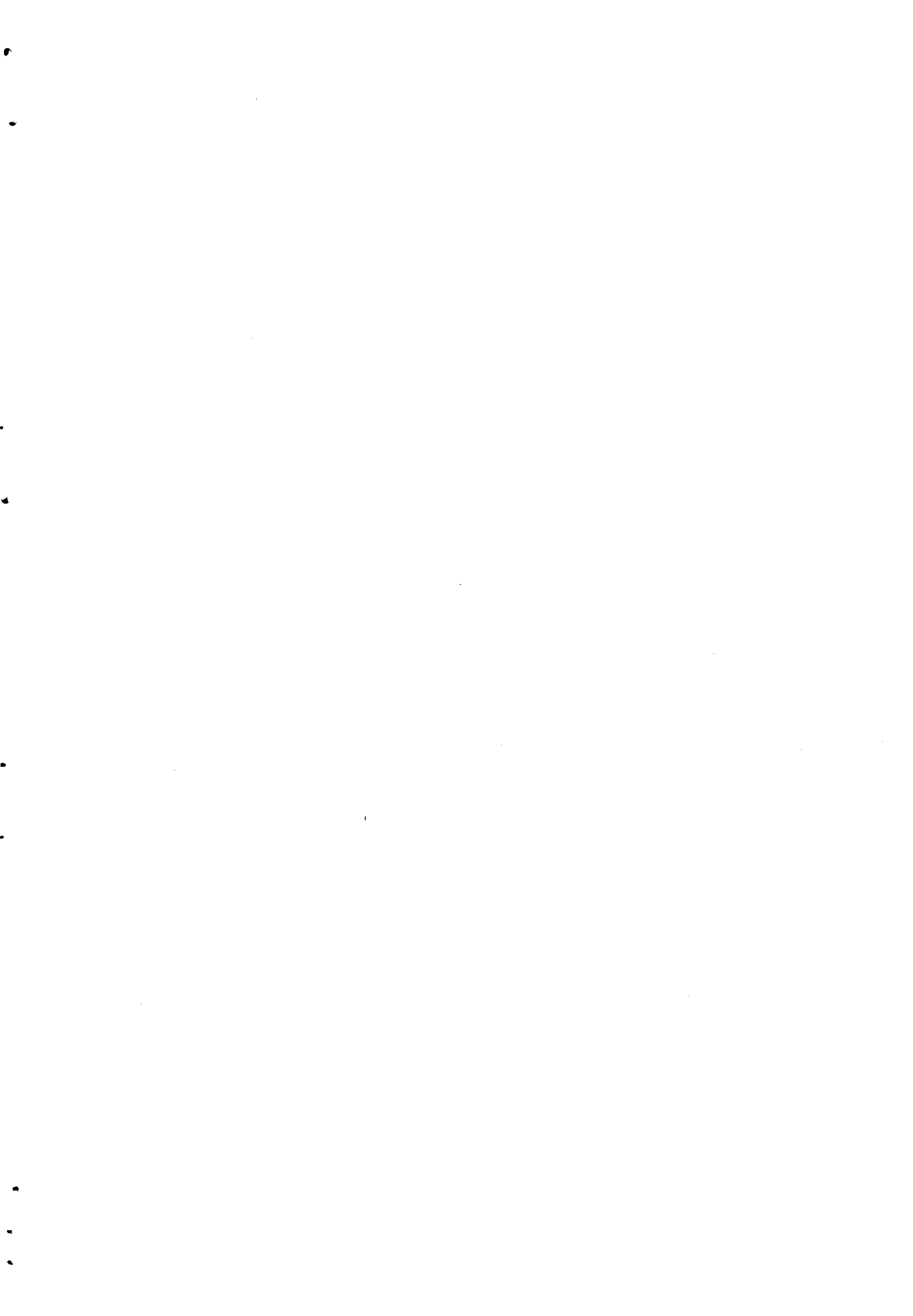
قلت: هذه العبارة في التوثيق منحطة عن قولهم ثقة وحجة وهي من نعوت التعديل لا التجريح، وتفسير المزابنة والمحاقلة يجوز أن يكون من قول النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون من تفسير الصحابي رضي الله عنه أو مَن بَعْدَهُ، والله أعلم، آخرها[2].



(١) انظر تفصيل ترجمته في: تهذيب الكمال (٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨٢).

(٢) أي آخر ترجمة البرزالي.

الحافظ جمال الدّين المِزّيّ



* قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة لما تولّى الحَافظ المِزّي دار الحديث الأشرفية سنة (٧١٨هـ): «لم يل هذه المدرسة من حين بنائِها وإلى الآن أحق بشرط الواقف منه. وقد وليها جماعة مثل ابن الصلاح ومحيي الدِّين النووي وغيرهما، لأن الواقف قال: فإن اجتمع من فيه الرواية، ومن فيه الدراية قُدِّمَ من فيه الرواية». [أعيان العصر (٧/٣٥٨ ب)].

* وقال الإمام الصَّفدي: «وسَمِعت «صحيح مسلم» على البَنْدَنِيجي وهو حَاضِر بقراءة ابن طُغْريل وعدة نسخ صحيحة حاضرة يقابل بها فيرد الشيخ جمال الدِّين رحمه الله على ابن طُغْريل اللفظ فيقول ابن طُغْريل: ما في النسخة إلاَّ ما قرأت فيقول من في يده بعض تلك النسخ الصحيحة: هو عندي كما قال الشيخ أو هو مُظفى عليه أو مصيب أو في الحاشية تصحيح ذلك، ولما تكرر ذلك قلت أنا له: ما النسخة الصحيحة إلاَّ أنت!!». [أعيان العصر (٨/ ٣٦٣ أ)]

نموذج من خط الحافظ المِزّي من كتاب تهذيب الكمال بخطه، نسخة شستربتي برقم (٤٣٤٠)، وقد رأيت عدة أجزاء حديثية مصورة من الظاهرية عليها سماعات للحافظ المِزي بخطه.

فذكره وقال ابو بكر بن مجاهد المقرئ حدثني عبد الله بن ابي بكر قال حدثنا
ابي قال حدثنا محمد بن اسحق يعني المسيبي عن ابيه قال لما حضرت نافعا
الوفاة قال له ابناه اوصنا قال اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مومنين قال ومات سنة تسع وستين ومائة ٥
اخبرنا بذلك ابو الحسن بن البخاري واحمد بن شيبان قالا اخبرنا ابو حفص بن
طبرزد قال اخبرنا الحافظ ابو البركات الانماطي قال اخبرنا ابو الحسين بن النقور
قال اخبرنا ابو القسم بن الجراح الوزير قال حدثنا ابو بكر احمد بن موسى بن العباس
بن مجاهد فذكره ٥ روى له ابن ماجه في التفسير عن فاطمة بنت علي انها سمعت
عليا يقول يا كهيعص اغفر لي ٥ نافع بن عتبة بن ابي وقاص واسمه
مالك بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري ابن اخي سعد بن
ابي وقاص واخو هاشم بن عتبة بن ابي وقاص المعروف بالمرقال له صحبة
شهد احدا مع ابيه كافرا وابوه عتبة بن ابي وقاص هو الذي كسر رباعية
النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ومات عتبة كافرا قبل الفتح واوصى الى اخيه
سعد بن ابي وقاص واسلم نافع بن عتبة يوم الفتح وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم روى عنه ابن عمته جابر بن سمرة ٥ روى له مسلم وابن ماجه
وقد وقع لنا حديثه بعلو ٥ اخبرنا به احمد بن ابي الخير قال انبانا
ابو الحسن الجمال قال اخبرنا ابو علي الحداد قال اخبرنا ابو نعيم الحافظ قال حدثنا
ابو محمد بن حيان قال حدثنا ابو يعلى الموصلي قال حدثنا ابو خيثمة قال حدثنا جرير
عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال كنا عند
النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من العرب
عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند اكمة فانهم لقيام ورسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعد فقالت لي نفسي قم بينهم وبينه لا يغتالونه قال فقمت بينهم وبينه
فحفظت منه اربع كلمات اعدهن في يدي قال تغزون جزيرة العرب

المِـــزِّي[1]

هو حَافِظُ العَصر، ومُحَدِّث الشَّام ومصر، وحَامِل لواء الأثر،

(١) أجوبة ابن سَيِّد الناس (٨٣ ب ــ نسخة الاكوريال برقم ١١٦٠)، وتذكرة الحفاظ للمصنف (٤/١٤٩٨)، ومعجم الشيوخ له (٢/٣٨٩)، والمعجم المختص (ص ٢٩٩)، وذيل دول الإسلام (٢/٢٤٧)، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي (٤/٢٧٥ ــ ٢٧٩)، وبرنامج الوادي آشي (ص ٩٦، ٩٧)، وتاريخ ابن الوردي (٢/٤٧٤)، وأعيان العصر للصفدي (٧/٣٥٤ أ ــ ٣٦٦ ــ نسخة رئيس الكتاب رقم ٥٨٩)، وفوات الوفيات لابن شاكر (٤/٣٥٣)، والذيل على ذيل العبر للحسيني (ص ٢٢٩)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٠/٣٩٥)، وطبقات الشافعية للإسنوي (٢/٤٦٤)، والوفيات لابن رافع (١/٣٩٦)، والبداية والنهاية (١٤/١٩١)، ودرة الأسلاك (١٣٩/ ب)، وعقود الجمان للزركشي (٣٥٤/ب)، وذيل التقييد (٢/٣٢٢ ــ ٣٢٤)، والدر المنتخب في تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية (٢/٤٣٩ ــ نسخة الأحمدية ــ بحلب المحمية ١٢١٤)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/٩٩ ــ ١٠١)، والدرر الكامنة (٤/٤٥٧ ــ ٤٦١)، والدليل الشافي (٢/٨٠٣)، والنجوم الزاهرة (١٠/٧٦)، وغربال الزمان للعامري (ص ٦٠٨)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥١٧)، والدارس في تاريخ المدارس (١/٣٥)، والقلائد الجوهرية لابن طولون (٢/٤٥١ ــ ٤٥٣)، وشذرات الذهب (٦/١٣٦)، والبدر الطالع (٢/٣٥٣)، وإعلام النبلاء للطباخ (٤/٥٣١ ــ ٥٣٤).

وعالم أنواع نُعوت الخَبر، صاحب مُعْضِلاتِنا، وموضِح مُشْكِلاتنا، الشيخ جمال الدِّين أبو الحَجَّاج يوسف بن الزَّكي عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك ابن أبـي الزهر القُضَاعي، الكَلْبـيّ، المِزِّي، الحَلَبـي المولد، خَاتِمة الحفاظ، ونَاقِد الأسانيد والألفَاظ، مولده بظاهر حلب في عاشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمائة، وطلب الحديث في أول سنة خمس وسبعين، وهلم جرا وإلى الآن لا فتَرَ ولا قَصَّرَ، ولا عن العلم والرواية تأخر، فأعلى ما عنده بالسَّماع أصحاب ابن طَبَرْزَد وحَنْبل، والكِنْديّ، وابن الحَرَستانيّ، ثُمَّ ابن ملاعب، والرُّهَاوي، وابن البناء، ثم ابن أبـي لُقْمَة، وابن البُن، وابن مُكْرَم، والقَزْويني، ثُمَّ ابن اللّتي، وابن صَبَّاح، وابن الزّبيديّ، وأعلى ما سَمِـع بإِجازة عن ابن كليب، وابن بَوْش، والجمال، وخليل بن بَدْر، والبوصيري، وأمثالهم، ثُمَّ المؤيد الطوسي، وزَاهر الثَّقَفِي، وعبد المعز الهروي.

وسَمِـعَ الكتب الأمهات «المسند» و «الكتب «الستة» و «المعجم الكبير» و «السيرة» و «الموطأ» من طرق و «الزهد» و «المستخرج على مسلم» و «الحلية» و «السنن» للبيهقي، [و «دلائل النبوة» و «تاريخ الخطيب» و «النسب» للزبير][1] وأشياء يطول ذكرها ومن الأجزاء أُلوفاً، ومشيخته نحو الألف، سَمِـع أبا العباس ابن سلامة، وابن أبـي عمر وابن عَـلَّان، والمقـداد، والعـز الحـرانـيّ، وابـن الـدَّرَجـيّ، والنّـواوي،

(١) ما بين المعكوفين من (ل) وبعض المصادر التي نقلت كلام الذهبـي.

والزّواويّ، والكمال عبد الرحيم، وابن البُن، والقاسم الإربلّي، وابن الصابوني، والرشيد العامري، ومحمد بن القواس، والفخر ابن البُخَاري، وزينب، وابن شَيْبَان، ومحمد بن محمد بن مَناقب، وإسماعيل بن العَسقَلاني، والمجد ابن الخليل، والعماد ابن الشّيرازي، والمحيي ابن عصرون، وأبا بكر بن الأَنْمَاطِي، والصفيّ خَليلاً، وغازياً الحَلاوي، والقطب بن القَسطلاني، وطبقتهم، والدِّمياطيّ، والفاروثي، واليُونَينيّ، وابن بَلْبَان، والشريشيّ، وابن دقيق العيد، وابن الظاهري، والتقي الأسعرديّ وطبقتهم، وتَنَزّلَ إلى طبقة سعد الدِّين الحارثي، وابن نفيس، وابن تيمية، ولم يتهيأ له السَّمَاع من ابن عبد الدائم ولا الكرماني، ولا ابن أبي اليُسر ونحوهم، ولا أجازوا له مع إمكان أن يكون له إجازة المُرسي والمُنذري وخطيب مَرْدا، واليَلْداني، وتلك الحَلْبَة. حَفِظَ القرآن، وتفقه للشافعي مُدة، وعَنِي باللغة فَبَرَع فيها، وأتقن النحو والصرف، وله عمل في المعقول، وباعٌ مديدٌ في المنقول، ومعرفة بشيءٍ من الأصول، وكتابته حلوة منسوبة، وفيه حياء، وحُلم، وسكينة، واحتمال كثير، وقناعة، واطّراح للتكلُف، وتَرك للتجمل والتودد وانجماع عن النَّاس، وصبر على من يغتابه أو يؤذيه، وقلة كلام إلاّ أن يُسأل فيُفِيد ويجيب ويجيد.

وكانَ معتدل القامة، أبيض بلحية سوداء، أبطأ عنه الشيب، ومُتّع بحواسه وذهنه، وكان قَنوعاً بالقوت، غير مُتأنقٍ في مأكلٍ ولا ثوبٍ ولا نَعلٍ ولا مركبٍ، بل يصعد إلى الصّالحية وغيرها ماشياً بِهِمَّةٍ وجَلادة وهو

في عَشْر التسعين، وكان طويل الروح، ريض الأخلاق جدّاً، لا يردُّ بعنف، ولا يتكثّر بفضائله، ولا يكاد يغتاب أحداً، وإذا كتب في النادر كتاباً إلى أحد لا ينمقه ولا يُزَوِّقُه، وكان يستحِمُّ بالماء البارد في الشيخوخة، وأما معرفة الرجال فإليه فيه المنتهىٰ، لم أعاين مثله، ولا هو رأى في ذلك مثل نفسه، وقال لي لم أرَ أحفظ من الدِّمياطي، وكان ملحوظاً بالتقدم في ذلك من وقت ارتحاله إلى مصر، ولما أملى عليَّ شيخنا ابن دقيق العيد لم يسألني عن أحد إلاَّ عن المِزِّي فقال: كيف هو؟ صَنَّفَ كتاب «تهذيب الكمال»[1] في أربعة عشر مجلداً، أربىٰ فيه على الكبار، وألَّف «أطراف الكتب الستة»[2] في ستة أسفار، وخَرَّجَ لجماعة وما علمته خَرَّجَ لنفسه لا عوالي، ولا موافقات، ولا معجماً، وكنت كل وقت ألومه في ذلك فيسكت، وقد حَدَّثَ بتهذيبه الذي اختصرته أنا ثلاث مرات[3]، وحَدَّثَ بالصحيحين مرات، وبالمسند، وبمعجم الطبراني و «دلائل النبوة» وبكتب جمة، وحَدَّثَ بسائر أجزائه العالية بل

---

(١) طبع بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف، في خمسة وثلاثين مجلداً، ونشرته مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٣هـ.

(٢) هو كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، وقد طبع في ثلاثة عشر مجلداً بتحقيق العالم الشيخ عبد الصمد شرف الدِّين ونشرته الدار القيمة بالهند سنة ١٣٨٤هـ.

(٣) مختصرات الذهبي لتهذيب الكمال هي:

١ ـ تذهيب التّهذيب. مخطوط.

٢ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. مطبوع.

٣ ـ المجرد من تهذيب الكمال. مخطوط.

وبكثير من النازلة، ولو كان لي رأي للزمته أضعاف ما جالسته، سمعت بقراءته شيئاً وافراً، وأخذت عنه هذا الشأن بحسبي لا بحسبه، ولن يخلفه الزمان أبداً في معرفته مع أن عند غيره في معرفة الرجال والأمراء والخلفاء والنسب ما ليس عنده، فإنه إنما يعتني بالرواةِ الذين يجيئون في سماعاته، ويُجيد الكلام في طبقاتهم وقوَّتهم ولينهم، وهذا الشأن بَحْرٌ لا سَاحِل له، وإنما المُحَدِّثون بين مستكثر منه ومستقل، وكان شيخنا لا يَكاد يعرف قدره الطالب إلاَّ بكثرة مجالسته أو ينظر في تهذيبه لقلة كلامه، وكان مع حسن خطه ذا إتقان قلَّ أن يوجد له غَلطة أو توجد عليه لحنة، بل ذلك معدوم **وكان ذا ديانة وتصوّن وطهارة من الصغر، وسلامة باطن، وعدم دهاء، وانزواء عن العقل العُرفي المعيشي**، وكان يحكم ترقيق الأجزاء وترميمها وينقل عليها كثيراً إلى الغاية، ويفيد الطلبة ويحسن بذلك إلى سائر أوقاف الخزائن بسعة نفس وسماحة خاطر، لا يخلف في ذلك، وكان فيه سذاجة توقعه مع من يربطه على أمر فيأكله ومستأكله حتى لا يزال في إفلاس، وذلك لكرمه وسلامته، وكان مأمون الصحبة، حسن المذاكرة والبشر، خيّر الطوية، محباً للآثار، مُعظماً لطريقة السلف، جيد المعتقد، وربما بحث بالعقل الملائم للنقل فيصيب ويحسن غالباً بحسب ما يمكن، وربما غلط وكان الكف بمثله أولى عن الجدل، [فإن][1] المخالف ينتقد عليه ذلك، ويُلْزِمُهُ بالتناقض بحسب نظره، فمذهب السلف في غاية الصلف، والسكوت أسلم والله أعلم،

(١) سقطت هذه الكلمة من (ش).

وبكل حال فالخطأ في ذلك من قاصد الحق بتنزيه الحق مغفور للعَالم، وقد كان اغتر في شبيبته وصحب العفيف التلمساني، فلما تبين له ضلاله هجره وتبرأ منه فالحمد لله.

أسمع أولاده كثيراً وأحفاده، وحَجَّ وسَمِع بالحرمين، وبيت المقدس، ودمشق، ومصر، وحلب، وحماة، وحمص، وبعلبك، والإسكندرية، وبِلْبِيْس وقَطْيَة وغير ذلك، وأوذي مرة واختفى مدة من أجل سماعه لتاريخ الخطيب، وأوذي نوبة أخرى لقراءة شيءٍ من كتاب «أفعال العباد» مما يتأوله الفضلاء المخالفون، وحبس فصبر وكَظم، وقضى أكثر عمره على الاقتصاد والقناعة وقلة الدرهم إلى أن توفي شيخنا ابن أبي الفتح[1] فحصل له من جهاته حلقة الخضر والحديث بالناصرية فأضاء حاله وفرحنا له، ثُمَّ ولي دار الحديث سنة ثمان عشرة بعد ابن الشريشي ثُمَّ فيما بعد ترك الحلقة، وأُخِذَت منه الناصرية ثُمَّ نزل عن العزية لصاحبه نجم الدِّين وتكفى بما تبقى على قلته بنسبة رتبته، وربما وصل بشيءٍ متمم لأولاده، وباع كتابَيْه بألفين ومائتين فأنفقها، وأعلى ما عنده مطلقاً «الغيلانيات» وبإجازة «جزء ابن عرفة» و «ابن الفرات»، سَمِعت منه سنة أربع وتسعين وأخذت عنه «صحيح البخاري» وغير ذلك، واستملى منه قاضي القضاة أبو الحسن الحافظ، وسَمِعَ منه قاضي القضاة عز الدِّين الكناني، والحافظ أبو الفتح اليَعْمُريّ ومحب الدِّين وأولاده، والسروجي، وابن

(١) هو ابن سَيِّد الناس.

الدِّمياطي، وابن عبد الهادي، وابنا السفاقسي، وابن رافع، وسبط التنسي، وخلائق.

وتخرج به جماعة كالبِرْزالي، وابن الفخر، والعلائي، وابن كثير، وابن العطار، والجميزي، وابن الجعبري وآخرين.

قرأت بخط أبي الفتح قال: «ووجدت بدمشق الإمام المقدَّم، والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانِهِ وتقدَّم، أبا الحجاج المِزِّي بَحر هذا العلم الزاخِر، القائل مَن رآه: كم ترك الأول للآخر، أحفظ النَّاس للتَّراجم، وأعلمهم بالرُّواة من أعارب وأعاجم، لا يخصُّ بمعرفته مِصْراً دون مِصْر، ولا ينفردُ عِلْمُه بأهلِ عَصْر[1] دون عصر، مُعتمداً آثار السَّلَف الصَّالِح، مجتهداً فيما نيط به في حِفْظ السُّنَّة من النَّصَائح، مُعْرِضاً عن الدنيا وأسبابها، مُقبلاً على طريقته التي أربى بها على أَرْبابها، لا يُبالي بما ناله من الأَزْل، ولا يخلط جِدَّه بشيءٍ من الهَزْل، وكان بما يصنعه بصيراً، وبتحقيق ما يأتيه جديراً، وهو في اللغة إِمام، وله بالقريض إِلمام، فكنت أحرص على فوائده لأُحرز منها ما أُحرز وأستفيد من حديثه الذي إن طال لم يُملّ، وإِن أوجز وددت أنه لم يوجز، وهو الذي حَداني على رؤية الإمام شيخ الإسلام تقي الدِّين ابن تيمية[2].

[وسَرَدَ أبو الفتح فَضلاً في تقريظ ابن تيمية][3]، ولقد كان بين

(١) في (ش): «علم» والمثبت من (ل) وأجوبة ابن سَيِّد الناس.

(٢) أجوبة ابن سَيِّد الناس (٨٤/أ).

(٣) ما بين المعكوفين من (ل).

المزي وابن تيمية صحبة أكيدة، ومرافقة في السَّماع، ومباحثة واجتماع، وود وصفاء والشيخ هو الذي سعى للمزي في توليته دار الحديث، ولي في تولية التربة الصالحية، وجرت في ذلك أمور ونكد من أضداد الشيخ وسئلنا عن العقيدة، فكتب لهم المِزِّي بجمل، وأُعفيت أنا من الكتابة، ومردنا الكل إلى الله تعالى، ولا قوة إلَّا بالله.

وكان شيخنا أبو الحَجَّاج يترخص في الأداء من غير أصول، ويصلح كثيراً من حفظه، ويتسامح في دمج القاري ولغط السَّامعين، ويتوسع فكأنه يرى أن العمدة على إجازة المسمع للجماعة، وله في ذلك مذاهب عجيبة والله تعالى يسمح لنا وله بكرمه، وكان يتمثل بقول ابن مندة: **يكفيك من الحديث شمه.**

توفي في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية من الغد، وتأسفوا عليه، ولم يُخَلف أحداً مثله رحمه الله تعالى[1].

❑ ❑ ❑

(١) هذه ترجمة هؤلاء الأئمة الأجلاء الذين هم نجوم الهُدى ورجوم العدا صدرت من إمام صادق عارف بالتراجم والتاريخ، فضلاً عن دينه وصلاحه، إذا عرفت هذا عَلِمَت علم اليقين عِظَم تلك الكلمة الجائِرة الشنيعة التي قالها التاج السبكي في طبقات الشافعية (١٠/٣٩٨) بعد إيراده لترجمة المِزّي حيث يقول: «. . . واعلمْ أن هذا الرُّفقَة أعني المِزّي والذَّهبي والبِرْزَالي، وكثيراً من أتباعهم، أَضَرَّ بهم أبو العباس ابن تيميَّة إضراراً بيّناً، وحَمَّلَهم من عَظائم الأمور أمراً ليس هَيِّناً، وجَرهم إلى ما كان التباعُدُ عنه أولى بهم، وأوقفهم في دَكادِك من نار. . .»!!

الفهـــرس

❑ ❑ ❑